

العنوان : التنايز بالألقاب من المنظور الديني

الباحثة: نجوى مناع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية -قسنطينة-

nedjwaamir@gmail.com

الملتقى الافتراضي الأول

جامعة لونيبي علي البلدية 2

بعنوان "ظاهرة التنايز بالألقاب في المجتمع الجزائري"

يومي: 03-04 نوفمبر 2021

ملخص البحث:

"الإنسان كائن اجتماعي بطبعه" مقولة قالها العلامة ابن خلدون، فطبيعة الحياة الاجتماعية تستدعي تعامل الناس بعضهم مع بعض، إلا أنّ هذا التعامل في بعض الأحيان يشوبه بعض التجاوزات والأخطاء والتعدّيات في السلوكات قد تفتك بالمجتمع أحيانا، ومن هذه الأخطاء والانحرافات "التنايز بالألقاب" الذي نهى عنه الدين الحنيف واعتبره ظلما وجرما من فاعله لنفسه ولغيره، لما له من نتائج وخيمة وأضرار جسيمة على الأفراد والمجتمعات. الكلمات المفتاحية: التنايز بالألقاب، المجتمع، الدين، أضرار.

Research Summary:

"Man is a social being by nature" is a saying said by the scholar Ibn Khaldun. The nature of social life calls for people to deal with each other, but this interaction is sometimes tainted by some transgressions, mistakes and transgressions in behavior that may destroy society at times. Among these errors and deviations is "name-calling" which The true religion forbids it and considers it an injustice and a crime by the perpetrator for himself and for others, because of its dire consequences and severe damage to individuals and societies.

key words: Name-calling, society, religion, damages.

المقدّمة:

يبنى المجتمع الإسلامي على جملة من الأخلاق والمعاملات الهادفة إلى تنظيمه وتوحيد العلاقة بين أفرادها ، من خلال ضبط سلوك الفرد المسلم، وتوجيهه لأرفع الأخلاق وأعلاها ونهيه عن سيئها وأزداها، إذ يعتبر التناز بالالألقاب أحد هذه الأخلاق السيئة المضرّة بعلاقات الأفراد بعضهم ببعض، فهي سبب من أسباب تمزق الوحدة وانخراط الأخوة، ونشر البغض والكرهية بينهم، ولهذا جاء البحث الآتي لبيان خطورة التناز بالألقاب وآثاره السيئة على الفرد والمجتمع، وحكم الشرع حوله.

وقد تناولت في هذا البحث عددا من المباحث كالآتي:

المبحث الأول: معنى التناز بالألقاب

المبحث الثاني: أسباب نزول آية "ولا تنازوا بالألقاب"، والأحكام المستفادة منها.

المبحث الثالث: حكم التناز بالألقاب

المبحث الرابع: واجبات الأخوة وأثرها في وحدة المجتمع كما قررتها سورة الحجرات.

المبحث الخامس: خطورة ومآلات التناز بالألقاب.

المبحث الأول: مفهوم النبز والتناز بالألقاب:

-معنى النبز لغة: اللمز، ونبزه يَنْبِزُهُ، لقبه. وَهُوَ يَكْتُمُ فِيهَا كَأَن دَمًا ، وَأَصْلُهُ النَّبْرُ ، وَهُوَ

اللَّقْبُ ، وَالْمَصْدَرُ النَّبْرُ

ويرى الفيروز بادي أنّ التناز التعاير والتداعي بالألقاب⁽¹⁾. فقد حُصَّ بِمَا يَكْرَهُهُ الشَّخْصُ مِنَ الْأَلْقَابِ.

وتناز على وزن تفاعل، وهو يُشْر إلى تبادل الفعل بين الجانبين فهو فعل قد تَعَلَّبُ فيه

المشاركة، لأنّ من نبز غيره بلقب ردّ عليه المُنبِز بلقب آخر غالبًا، ولهذا جاء التعبير في النهي

بصيغة " وَلَا تَنَازِرُوا بِالْأَلْقَابِ " لأنه أقرب إلى حكاية الواقع⁽²⁾.

وقيل النَّبْرُ بالسكون القذفُ بالمكروه من الألقاب والنَّبْرُ بالفتح اللَّقْبُ القبيحُ فهو أخصّ من

(1)-القاموس المحيط، الفيروز بادي، ج6، ص 23..

(2)-ينظر: المصدر نفسه، ج، ص 24.

اللقب، كما أنّ اللقب أخصّ من العَلَم، وقيل هي الألقاب التي يسوء الشخص سماعها⁽¹⁾.

وإنما قال: "وَلَا تَتَّابِرُوا" ولم يقل "ولا تتبؤوا" على منوال "وَلَا تَلْمِزُوا" لأنّ التَّبَز لا يعجز الانسان عن جوابه غالباً، فمن يبنز غيره بالحمار كان لذلك الغير أن يبنزه بالثور مثلاً، ولا كذلك اللَّمَز، فإنّ الملموز كثيراً ما يغفل عن عيب اللّامز فلا يحضّره في الجواب شيء، فيقع اللَّمَز من جانب واحد فقط⁽²⁾، واللقب من الأعلام ما دلّ على مدح أم ذم.

وقرأ أيضاً بتشديد التاء ومد الألف بالإشباع في "لا" الناهية ممّا أفاد المبالغة في النهي عن ارتكاب هذه المعصية، لأنّ التشديد يدل على المبالغة كما هو معروف والمدّ المشبع في "لا" الناهية نستشف منه بعد أثر الفساد الذي تُحدثه هذه الألقاب في نفوس المؤمنين⁽³⁾.

المبحث الثاني: أسباب نزول الآية : "ولا تتابؤوا بالألقاب" وتفسيرها

-ويروى في سبب نزول آية "وَلَا تَتَّابِرُوا بِالْأَلْقَابِ" ما أخرجه الطبري بسنده عن أبي جُبيرة بن الضّحّاك قال: «كان أهل الجاهلية يسمون الرّجل بالأسماء، فدعا النبي صل الله عليه وسلم رجلاً باسم من الأسماء فقالوا: يا رسول الله إنّه يغضب من هذا، فأنزل الله "وَلَا تَتَّابِرُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ"»⁽⁴⁾.

قال الطبري: إنّما نزلت هذه الآية في قوم كانت لهم أسماء في الجاهلية، فلما أسلموا نُهوا أن يدعوا بعضهم بعضاً بما يُكره من أسمائه التي كان يُدعى بها في الجاهلية.

وقال أبو جُبيرة بن الضّحّاك: فينا نزلت هذه الآية في بني سلمة، قدم رسول الله -عليه الصلاة والسلام- وما ممّا رجُلٌ إلا وله إسمان أو ثلاثة فكان إذا دعا الرّجل بالاسم، قلنا: يا رسول الله إنّه يغضب من هذا، فنزلت هذه الآية "وَلَا تَتَّابِرُوا بِالْأَلْقَابِ".

وقيل نزلت في ثابت بن قيس، وكان به وقر، فكانوا يُوسعون له في مجلس رسول الله -

(1)-تفسير ابن كثير، تحقيق سامي سلامق، دار طيبة للنشر، ط2، 1420هـ-1999م، ج7،

ص 376.

(2)-ينظر: تفسير النيسابوري، 46/7.

(3)-مقال: القراءات القرآنية، منير الزبيدي، ص64..

(4)-جامع البيان في تأويل آي القرآن الطبري 390/11.

عليه الصلاة والسلام لسمع، فأتى يوماً وهو يقول: «تفسحوا حتى انتهى إلى رسول الله صل الله عليه وسلم- قال لرجل تنح، فلم يفعل فقال: من هذا؟ فقال الرجل: أنا فلان، فقال: بل أنت ابن فلانة يريدُ أمّا كان يُعيرُ بها في الجاهلية فحجل الرجل، فنزلت الآية، فقال ثابتٌ: لا أفر على أحد في الحسب بعدها أبداً.

وقيل أنها نزلت في صفة بنت حبي أنت النبي صل الله عليه وسلم- فقالت: «إن النساء يُقُلن لي يا يهودية بنت يهوديين، فقال لها: هلاً قُلت: إن أبي هارون وعمي موسى وزوجي محمد صل الله عليه وسلم⁽¹⁾.

ومن خلال هذه الأسباب لنزول الآية يتضح أنّ الإسلام نهى عن التنازب بالألقاب وشدد في النهي عنه والإنكار على فاعله

تفسير آية : "ولا تنابزوا بالألقاب":

ولأنّ التنازب نوع من أنواع السخرية فسنعرج على معنى قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم، عسى أن يكونوا خيراً منهم، ولا نساء من نساء عسى أن يكنّ خيراً منهن، ولا تلمزوا أنفسكم، ولا تنابزوا بالألقاب... الحجرات -11-

في تفسير الآية يقول الإمام الطبري: يقول تعالى ذكره: "يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله لا يهزأ قوم مؤمنون من قوم مؤمنين" "عسى أن يكونوا خيراً منهم" يقول: المهزوء منهم خير من الهازئين "ولا نساء من نساء" يقول: ولا يهزأ نساء مؤمنات من نساء مؤمنات، عسى المهزوء منهن أن يكنّ خيراً من الهازئات.

واختلف أهل التأويل في السخرية التي نهى الله عنها المؤمنين في هذه الآية، فقال بعضهم: هي سخرية الغني من الفقير، نهى أن يسخر من الفقير لفقره، فعن مجاهد قال: «لا يسخر قوم من قوم» قال: «لا يهزأ قوم بقوم أن يسأل رجل فقير غنيا، أو فقيراً وإن تفضل رجل عليه بشيء فلا يستهزئ به.

وقال آخرون، بل ذلك نهى من الله من ستر عليه من أهل الإيمان أن يسخر ممن كشف

(1)-تفسير الألويسي، ج19/ص279.

في الدنيا ستره منهم⁽¹⁾.

فالله عزوجل نهى المؤمنين عن أن يسخر بعضهم من بعض بجميع معاني السخرية، فلا يحل لمؤمن أن يسخر من مؤمن، لا لفقره، ولا لذنب ركبهُ ولا ليغر ذلك.

وقال تعالى: " وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ" فجعل اللّامرّ أخاه لامراً لنفسه، لأن المؤمنين كرجل واحد فيها يلزم بعضهم لبعض من تحسين أمره، وطلب صالحه، ومحبته الخير، وقوله تعالى: "وَلَا تَتَابَرُؤْا بِالْأَلْقَابِ" أي لا تداعوا بالألقاب ويُقصد بالألقاب التي يُكره النبزُ بها للملقب.

وقال آخرون، بل ذلك قول الرجل المسلم للرجل المسلم يا فاسق، يا زان وقال حُصينٌ: سألتُ عكرمة عن قول الله: "وَلَا تَتَابَرُؤْا بِالْأَلْقَابِ" قال: هو قول الرجل للرجل، يا مُنافقٌ، يا كافر⁽²⁾.

وقيل نبز الرجل بالكفر وهو مسلم.

وقيل لا تقل لأخيك المسلم: ذاك فاسقٌ، ذاك منافقٌ، نهى الله المسلم عن ذلك وقدم فيه.

وقيل تسميته بالأعمال السيئة بعد الإسلام، زان فاسقٌ... وقال آخرون: بل ذلك تسمية الرجل الرجل بالكفر بعد الإسلام والفسوق والأعمال القبيحة بعد التوبة⁽³⁾.

وقيل التنابز بالألقاب أن يكون الرجل عمل السيئات ثم تاب منها، وراجع الحق، فنهى الله أن يُعيرَ بما سلف من عمله.

وقال الحسن: كان اليهودي والنصراني يُسلم فيلقبُ، فيُقال له يا يهودي، يا نصراني، فنهوا عن ذلك.

والذي قدّمه الإمام الطبري من المعنى: أن الله تعالى نهى المؤمنين أن يتنابزوا بالألقاب: وهو دعاء المرء صاحبه بما يكرهه من اسم أو صفة، وعمّ الله به بنهيه ذلك، ولم يُخصص به

(1) -جامع البيان. الطبري. ج2 ص300

(2) -ينظر: جامع البيان، للطبري، ج2، ص300.

(3) -ينظر: المصدر نفسه، ج2، ص301.

بعض الألقاب دون بعض، فغيرُ جائز لأحد أن يَنْبُز أخاه باسم يكرهه، أو صفة يكرهها⁽¹⁾.

إنَّ من المعاني المستنبطة من الآية تذكير المؤمنين بأنهم نفسٌ واحدةٌ من يلمزها فقد لمز نفسه "وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ"، واللمزُ العيب، ولكن للفظه جرسًا وظلاً، وكأتمًا وخزة حسية لا عتبة معنوية، ومن السخرية واللمز التنابز بالألقاب التي يكرهها أصحابها ويحسون فيها سُخرية وعتبا، ومن حق المؤمن على المؤمن أن لا يناديه بلقب يكرهه ويزدرئ به، ومن أدب المؤمن ألا يؤذي أخاه بمثل هذا⁽²⁾، وقد غير رسول الله -صل الله عليه وسلم- أسماءً وألقابًا كانت في الجاهلية لأصحابها، أحس فيها بحسه المُرهِف، فقلبه الكريم بما يزري بأصحابها، أو يصفهم بوصف ذميم⁽³⁾.

فالآية في ذاتها هجاء وذم، لأنَّ من يُنعت بالكذب، أو يُشار إلى أن فيه ذلك الوصف فحسبه ذلك ذمًا، والأحرى به الإقلاع عنه واجتناب سبيله.

-بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان: وجوه أحدها: استقباح الجمع بين الأمرين كما تقول:
«بئس الشأن الصبوة بعد الشيخوخة» أي معها.

وثانيها: بئس الذكر أن يذكروا الرُّجُل بالفسق أو باليهودية بعد إيمانه، وثالثها: أن يجعل الفاسق غير مؤمن كما يُقال للمتحول من التجارة إلى الفلاحة «بئس الحرفة الفلاحة بعد التجارة» فمعنى بعد الإيمان بدلاً من الإيمان، «ومن لم يتب» عمّا نُهي عنه، «فأولئك هم لظالمون»⁽⁴⁾.

والمراد النهي عن دعاء المرء صاحبه بما يكرهه من اسم أو صفة، وقد استثنى العلماء من ذلك ما يُقال لشهرة هذا اللقب على صاحبه، حتى لا يعرف إذا أطلق سواه ولا يكون على سبيل التقص كالأعمش والأعرج ونحوهما ثم ذم الله تعالى التنابز المذموم بقوله "بئس الاسمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإِيْمَانِ"، وللعلماء فيه قولان:

(1)-جامع البيان للطبري، ج2، ص 302.

(2)-انظر: القراءات القرآنية وأثرها في بيان معاني آيات التريية الخلقية في سورة الحجرات منير

الزبيدي، مجلة المعيار، مجلد 23، عدد46، 2019م، ص 64..

(3)-في ظلال القرآن، سيد قطب، 3344/6 بتصرف.

(4)-ينظر: تفسير النيسابوري، 7 / 47.

الأول: بئس رجوعك للفسق بعد أن آمنت.

الثاني: بئس وصفك أخاك بالفسق بعد أن آمن⁽¹⁾.

فآلية فيها من التهديد الشديد لمُرْتَكِب هذا الإسم إذ يُقْبَحُ بالمسلم أن يصف أخاه بالفسق أو الكفر بعد أن تاب وآمن.

وبين القرآن أن ما يحصل من هذه الأخلاق الرذية التي لا يُلتفتُ لِقُبْحِها، إثم يجب على من فعله التوبة، فقال تعالى: "وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ"، فقد ظلموا الآخرين بالاعتداء عليهم وظلموا أنفسهم حين ارتضوا لها هذه المنزلة التي يسفل لها حال العاقل، فضلاً عن المسلم الذي ارتوى من معين القرآن والسنة، وظلموها إذا انشغلوا بعيوب الآخرين عن الانشغال بتفقد عيوبهم والانصراف لما يُصلح أحوالهم، ثم ظلموها في الآخرة حين ارتضوا لها عقاب الله تعالى⁽²⁾.

فقوله تعالى: "بئس الإسم الفسوق بعد الإيمان، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون"

فيه تهجين وتقبيح لنسبة الكفر والفسوق إلى المؤمنين³.

ولأجل هذا جعل سيد طنطاوي المراد من الآية هو نهى المؤمنين أن يسبوا إخوانهم في الدين إلى الفسوق بعد اتصافهم بالإيمان⁴.

وعليه فالجملة الكريمة تمام للزجر كأنه تعالى قال "يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم ولا تلمزوا أنفسكم ولا تتابزوا..." فإنه إن فعل يفسق بعدما آمن، والمؤمن يقبح منه أن يأتي بعد إيمانه بفسوق، فيكون في قوله تعالى "الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم" الأنعام 82.

"وبصير التقدير "بئس الفسوق بعد الإيمان، وبئس أن تسموا بالفاسق بسبب هذه الأفعال"

(1)–التفسير الكبير، 133/28.

(2)–ينظر: التحرير والتنوير، 250/26.

³– التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، ج 26 ص 247.

⁴–التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، ج 26 ص 188.

بعدهما سميتموهم مؤمنين¹.

وقريب إلى هذا الرأي قول أحدهم أنّ الآية تذييل للمنهيات المتقدّمة، وتعرض قوي بأنّ ما نهوا عنه فسوق وظلم، إذ لا مناسبة بين مدلول هذه الجملة وبين الجمل التي قبلها لولا معنى التعريض بأنّ ذلك فسوق وذلك مذموم ومعاقب عليه...².

ولعل هذا هو السرّ في حصر الظلم في هؤلاء إن لم يتوبوا، حيث إنّه " إذ كان كلّ من السخرية واللمز والتنابز معاصي وجبت التوبة منها، ومن لم يتب فهو ظالم لأنّه ظلم الناس بالاعتداء عليهم، وظلم نفسه بأنّه رضي لها عقاب الآخرة مع التّمكّن من الإقلاع عن ذلك، فكان ظلمه شديدا جدا، فلذلك جيء بصيغة قصر الظالمين عليهم كأنّه لا ظالم غيرهم لعدم الاعتداد بالظالمين الآخرين في مقابلة هؤلاء على سبيل المبالغة ليزدجروا"³.

فمثل هذا الصنيع لا يحتاج في استهجانته إلى التلميح أو التلويح، بل إنّ مثل هذا ليستحقّ من أدوات الدّمّ صريحها، ومن أساليب الهجاء أفصحها، ولعل في استعمال "بئس" في هذا المقام جوابا لهذا الإشكال، وشفاء للغليل⁴.

المبحث الثالث: حكم التنابز بالألقاب:

قال النووي، اتفق العلماء على تحريم تلقيب الإنسان بما يكره، سواء كان صفة أو لأبيه، ولأمه، أو غيرهما.

فالتلقيب ليس محرّمًا لذاته بل المحرّم ما كان بلقب السوء «وقد رُوي عن النبي-عليه الصلاة والسلام-قوله: «من حقّ المؤمن على أخيه أن يُسمّيه بأحبّ أسمائه إليه ولهذا كانت التكنية من السنّة والأدب الحسن، قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أشيعُوا الكُنَى فإنّها

¹-التفسير الكبير ، الفخر الرازي، ج26 ص133.

²-التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج26 ص249.

³-التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج26 ص250.

-ينظر سورة الحجرات -دراسة أسلوبية- بلقاسم بن موناخ، إشراف د رايح دوب، جامعة الأمير

⁴عبد القادر للعلوم الإسلامية، ، 2002م، ص55-56.

مُنْبَهة»⁽¹⁾.

أما الألقاب اللطيفة التي تدلُّ على معانٍ حسنة فلا مانع من استعمالها كما قيل لأبي بكر:
عتيقٌ، ولعمر بن الخطاب: الفاروق ولعثمان: ذو النورين⁽²⁾.

وحمزة رضي الله عنه لُقِبَ "بأسد الله" لأنَّ إسلامه كان حميَّة فاعتزَّ الإسلام به، وخالدٌ
"بسيف الله" لقوله عليه الصلاة والسلام «نعم عبد الله خالد بن الوليد سيفٌ من سيوف الله»
وغيرها من الألقاب الحسنة⁽³⁾.

ولله درُّ القائل:

لله في الخلق أسرارٌ وأنوارٌ ويصطفى الله من يرضى ويختارُ

لا تحقرن فقيراً إنْ مررت به	فقد يكونُ له حظٌ ومقدارُ
والمرءُ بالنفس لا باللبس تعرفهُ	قد يخلُقُ الغمُدُ والهنديُّ بتارُ
والتبُّرُ في التُّرب قد تخفى مكانته	حتى يخلصهُ بالسَّبك مسبارُ
ورُبُّ أشعث ذي طمرين مجتهد	له على الله في الإقسام إبرارُ ⁽⁴⁾ ..

-فعال المسلم عالمٌ نظيفُ المشاعر، مكفولُ المحرمات، مصُونُ الغيبة والحضرة، لا يؤخذ
فيه أحدٌ بظنه ولا تُتبعُ فيه العورات، ولا يتعرض فيه أمنُ الناس وكرامتهم لأدنى مساس⁽⁵⁾.

المبحث الرابع: واجبات الأخوة وأثرها في وحدة المجتمع كما قررتها سورة الحجرات:

(1)-تفسير الزمخشري، الكشاف، ج6، ص 377.

(2)-تفسير القطان، ج3، ص 261.

(3)-تفسير الألوسي، ج19، ص 280.

(4)-ينظر: تفسير البحر المديد لابن عجيبة، ج6/ص113.

(5)-في ظلال القرآن، سيد قطب، ج6، ص 489.

لقد جاءت سورة الحجرات لنتهى عن جملة من القبائح الاجتماعية وتبين أن المجتمع الإسلامي الحق هو المجتمع الذي يخلص نفسه وأفراده من هذه الرذائل محاولا الارتقاء إلى أسمى مراتب الرقي الاجتماعي والإنساني والتعبدى.

لقد تضمنت هذه السورة مجموعة من الآداب والضوابط الأخلاقية تم عرضها بأسلوب بديع يتفاوت بين الترغيب تارة والترهيب تارة أخرى بحيث تعمل مجتمعة على تحقيق منظومة متزنة من الدوافع والموانع التي تدفع المسلم والمجتمع نحو السلوك المرغوب فيه وتحجزه عن السلوك المرغوب عنه.

ومن الآداب التي جاءت بها هذه السورة: النهي عن السخرية وعن اللمز وعن التنازع بالألقاب وغيرها وهي كلها «استهزاءً واستحقاقاً وتنبيه على النقائص والعيوب بوجه من يضحك منه، وقد تكون بالمحاكاة بالفعل والقول أو الإشارة أو الإيماء أو الضحك من كلام المسخور منه إذا تحبب فيه أو غلط أو قبّح صورته، أو ذكر الشخص بما يكره على وجه مضحك بحضرته»⁽¹⁾. وهي كلها من صور الاحتقار والتقليل من شأن المستهزئ به.

"أول ما يبرز للنظر عند مطالعة السورة ، هو أنها تكاد تستقل بوضع معالم كاملة ، لعالم رفيع كريم نظيف سليم؛ متضمنة القواعد والأصول والمبادئ والمناهج التي يقوم عليها هذا العالم؛ والتي تكفل قيامه أولاً ، وصيانته أخيراً . . عالم يصدر عن الله ، ويتجه إلى الله ، ويليق أن ينسب إلى الله . . علم نقي القلب ، نظيف المشاعر ، عف اللسان ، وقبل ذلك عف السريرة . . عالم له أدب مع الله ، وأدب مع رسوله ، وأدب مع نفسه ، وأدب مع غيره . أدب في هواجس ضميره ، وفي حركات جوارحه . وفي الوقت ذاته له شرائعه المنظمة لأوضاعه ، وله نظمه التي تكفل صيانته . وهي شرائع ونظم تقوم على ذلك الأدب ، وتنبثق منه ، وتتسق معه؛ فيتوافى باطن هذا العالم وظاهره . وتتلاقى شرائعه ومشاعره . وتتوازن دوافعه وزواجره؛ وتتناسق أحاسيسه وخطاه ، وهو يتجه ويتحرك إلى الله . . ومن ثم لا يوكل قيام هذا العالم الرفيع الكريم النظيف السليم وصيانته ، لمجرد أدب الضمير ونظافة الشعور؛ ولا يوكل كذلك لمجرد التشريع والتنظيم . بل يلتقي هذا بذلك في انسجام وتناسق"² .

(1)-ينظر: تفسير الألوسي، ج19/ص 276.

²-ينظر: في ظلال القرآن. سيد قطب. ج6- ص488.

"وهو عالم له آدابه النفسية في مشاعره تجاه بعضه البعض؛ وله آدابه السلوكية في معاملاته بعضه مع بعض : { يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم؛ ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن؛ ولا تلمزوا أنفسكم ، ولا تتنازروا بالألقاب . بئس الاسم : الفسوق بعد الإيمان . ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون }"¹.

فالمجتمع الفاضل الذي يقيمه الإسلام بهدى القرآن مجتمع له أدب رفيع ، ولكل فرد فيه كرامته التي لا تمس . وهي من كرامة المجموع . ولمز أي فرد هو لمز لذات النفس ، لأن الجماعة كلها وحدة ، وكرامتها واحدة .

إنّ علاقة الأفراد في المجتمع الإسلامي تقوم على أساس الأخوة المتينة التي قوامها التضامن والولاية والنصرة التي تغذي وجود المجتمع بالوحدة والقوة والتعاون على البرّ والتقوى.

"وهذا العقد الاجتماعي الذي ارتبط به المجتمع الإسلامي في نظامه اليومي ليس مادياً من صنعه أو فلسفته يملكه أو يملك التنازل عنه، أو التفسير فيه بما يشاء، بل هو هبة الله إلى الأمة الإسلامية، وقانون شرعي يجب أن يُحترم ويُراعى، وأمر إلهي يجب أن ينفذ ويُصان ويُكرم، فتقرر سورة الحجرات هذا المبدأ، وتصيغه بصيغة الحصر التي تفيد أنّ ما يكون في المجتمع من علاقات بين الأفراد إنّما هي فقط علاقة التناصر والأخوة، والتوادد،... وربط هذا النداء بوصف الإيمان دلالة على أنّ من لوازم الإيمان الحفاظ على هذه الرابطة فقال تعالى: "يا أيها الذين آمنوا إنّما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون"².

وهذه الآية تعليل لإقامة الإصلاح بين المؤمنين إذا استشرى بعضهم مع بعض كحال الإخوة والمراد بها أخوة الدين، قال القرطبي: «أخوة الدين أثبت من أخوة النسب، فإن أخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين، وأخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب»⁽³⁾.

وهذا ما أكدّه رسول الله عليه الصلاة والسلام: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه،

¹-المصدر نفسه، ج6 ص489.

-ينظر: أصول المجتمع الإسلامي في سورة الحجرات، رؤوف شلبي، مجمع البحوث الإسلامية-

²مصر 1396هـ، ص42.

⁽³⁾- الجامع لأحكام القرآن 322/16.

ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته...»⁽¹⁾.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله -عليه الصلاة والسلام- «حق المسلم على المسلم خمس ردّ السلام، وعبادة المريض، واتباع الجنائز وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس»⁽²⁾.

بل إن رسولنا الكريم وصف حال المسلمين بوصف بليغ، ينبغي على كل من يريد إقامة مجتمع متين أن يعيه ويتمثل ما يُرشد إليه داعيا الآخرين إلى ذلك يقول -عليه الصلاة والسلام- مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»⁽³⁾.

وهذا يعني أنّ رابطة الأخوة تقتضي التعاون والتحابّ والتناصح لا التباغض والتنافر والتناقض، كما أنّها تستدعي التدخل لفضّ ما قد يحصل من خصومات بينهم، فهم إخوة، والافتتال بين الإخوة مفسدته عظيمة...»⁽⁴⁾.

وهذا المجتمع تسود فيه الأخلاق الفاضلة وتتلاشى فيه الأفكار والأخلاق المنحرفة، مجتمع "لا فضل فيه لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأسود على أحمر ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى".

وقد شهد التاريخ أنّ هلاك الأمم القديمة إنّما كان مرجعه فقدان العنصر الأخلاقي، لذلك أكّد القرآن الكريم على ضرورة التزام الأمة الإسلامية بهذه الأخلاق التي حددتها سورة الحجرات لتسلم الأخوة والولاية من أسباب التدهور الذي يصيب الأمم عادة⁵، وقد حددت السورة النظام الأخلاقي الذي يجب أن يراعاه الفرد المسلم في سلوكه الاجتماعي بمايلي:

(1)- صحيح البخاري رقم 244، وصحيح مسلم رقم 2580.

(2)- صحيح البخاري رقم 1240، ومسلم 2162.

(3)- صحيح مسلم، رقم 2586.

(4)- ينظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم إعداد نخبة من علماء التفسير تحت إشراف

د. مصطفى مسلم، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، ط1، 1431هـ -

2010م، ج7، ص 355..

⁵- ينظر: أصول المجتمع الإسلامي. ص 49 بتصرف.

1. لا يسخر قوم من قوم.

2. لا تلمزوا أنفسكم.

3. لا تتابزوا بالألقاب.

4. اجتنبوا كثيراً من الظنّ

5. لا تجسسوا

6. لا يغترب بعضكم بعضاً

يقول عبد الرحمن حبنكة الميداني في كتابه قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله: "ويلاحظ في هذا النص -أي الآية- أن كل نهْيٍ فيه قد انفرد بلون تعبيرِي ذي دلالة خاصة قابلة لأن تكون شاملة للمنهيات الأخرى ؛ ففي السخرية : " لا يسخر قوم من قوم" وفي اللمز "ولا تلمزوا أنفسكم" ، وفي التنايز "ولا تتابزوا بالألقاب" ، وفي الظن المنهِي عنه " اجتنبوا" ، وفي التجسس " ولا تجسسوا" ، وفي الغيبة " ولا يغترب بعضكم بعضاً" ويلاحظ أنه يصح في كلٍ منها استعمال التعبيرات الأخرى لتؤدي فيه دلالتها فيقال مثلاً في السخرية (لا تسخروا من أنفسكم - لا تتساخروا - اجتنبوا السخرية - لا تسخروا - لا يسخر بعضكم من بعض) ... ومع ذلك فقد اختير لكل قبِيحة من هذه القبائح الست صيغة التعبير التي تدل على أبرز صورة من صورها¹، وهذا في الحقيقة من روائع الإعجاز البياني القرآني من حيث استيعاب كل المعاني بأوجز أسلوب مؤثر.

إذا تأملنا مجموع الآيات التي ضمت الآداب والضوابط المتقدمة ظهرت لنا مجموعة من إشارات الترهيب والترغيب التي تذيّل تلك الآيات بحيث تعمل مجتمعةً على تحقيق منظومة متزنة من الدوافع والموانع التي تدفع الفرد المسلم والمجتمع نحو السلوك المرغوب فيه وتحجزه عن السلوك المرغوب عنه².

إن أحداً لا يستطيع أن يفرض التزام مبدأ من المبادئ أو خلقاً من الأخلاق بقوة خارجية أو سلطة قانون، فها هي الدول اليوم تعيش تحت سلطة قوانين وضعية ونظم قضائية وشرطة وقوات

¹-قواعد التدبر الأمثل، ص517.

²-آداب المجتمع الإسلامي، ص26.

عسكرية لكنها لم تستطع أبداً أن تحقق أي التزام حقيقي بالأخلاق - إن صح أن يسمى ما عندهم أخلاقاً - ولهذا كان لا بد من حل هذه الإشكالية في منظومة الأخلاق الإسلامية، وليس أقدر على ذلك من قوله تعالى في ختام هذه السورة: "إن الله يعلم غيب السماوات والأرض والله بصير بما تعملون" الحجرات -18- إذ أن استشعار هذه الرقابة الدائمة من الله عز وجل كفيلٌ بتنمية الوازع النفسي في كل فردٍ بما يحقق التزامه بهذه الأخلاق والآداب ولو كان في خلوة من الناس أو معزل عن بطش السلطان وقهر السلطة والقانون، وبهذا فقط تنضبط منظومة الأخلاق في المجتمع¹.

المبحث الخامس: خطورة ومآلات التنازب بالألقاب:

إن قوله تعالى: "وَلَا تَتَّابِرُوا بِالألقابِ" إشارة لآفة تهدد كيان المجتمع وهي شيوع استخفاف الأفراد بأنفسهم، وذلك من خلال استخفافهم بالآخرين، ذلك أنّ الذي يعيب الناس، ويرميهم بما يسوء لا يسوؤه كثيرا أن يعتبه الناس، وهذا نوع من معنى الآية- والله أعلم- في قوله تعالى: "وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ" بإيقاع الفعل عليهم، فكأنهم إذ يلمزون غيرهم يلمزون أنفسهم صنمناً⁽²⁾.

إن هذا السلوك الاجتماعي الشائن يعكر على أفراد المجتمع المسلم صفو علاقتهم ويكدر صفاء مبادئهم؛ فلا يسلم الاعتقاد بأفضلية المسلم وتساويه في الحقوق مع أخيه المسلم مع الاستهزاء به والسخرية منه

لقد نبه القرآن على خطورة العواقب المترتبة على ترك الالتزام بمنظومة الأخلاق القرآنية المعروضة، ففي سياق النهي عن القبايح الاجتماعية - كالسخرية والتنازب واللمز - جاء التحذير من وقوع الظلم بين أفراد المجتمع نتيجة الاستهزاء بالغير والافتراء عليه ومبالغة الغير في الرد على تلك السخرية والافتراءات، فقال تعالى: "ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون".

إنّ التنازب بالألقاب يؤدي شعور الطرف الآخر ويشدخ كبرياءه ، فتنفصم أصرة الود بينهما . فالمسلم محاسب على ما يتلفظ به لسانه من خير أو شر، فليراقب نفسه ويحفظ لسانه مما قد يضر بالآخرين، وفي الحديث، قال معاذ بن جبل -رضي الله عنه-: (يا رسول الله.. أنحن محاسبون على الكلمة نقولها؟..) فقال -صلى الله عليه وسلم- : (تكلتك أمك يا معاذ.. وهل يكب الناس في النار على وجوههم - أو قال - على مناخرهم.. إلا حصائد ألسنتهم).

¹-المصدر نفسه، ص28.

⁽²⁾-ينظر: التفسير القرآني للقرآن 449/13.

ولله در الشاعر حين قال :

احفظ لسانك لاتقول فتبتلى ... إن البلاء موكل بالمنطق

الخاتمة:

-إنّ علاقة المؤمنين بعضهم مع بعض علاقة أخوة ومحبة وولاية وتعاون، فلا حقد ولا حسد ولا نميمة ، ولا غش ولا خداع ولا خيانة ولا **تتابز** بالألقاب ، ولا غير ذلك مما يؤذي المسلم أو المسلمة ويسبب الشحناء والبغضاء والعداوة والفرقة.

-السخرية والتتابز بالألقاب منافية لخلق المسلم لأن فيها استعلاءً بغير الحق، واستهزاء بالطرف الآخر، وتقليلا من شأنه وهذا مخالف للأخلاق الإسلامية.

-عواقب الاستهزاء والتتابز بالألقاب وخيمة فهي تهدد كيان المجتمع ووحدة الأفراد.

-استشعار الرقابة الدائمة والخوف من الله تعالى كفيل لأن يتجنب المسلم أذى الآخرين بالتتابز بالألقاب، وذلك من خلال حفظ لسانه فلا ينطق إلا خيرا.

-الشرعية الإسلامية تقوم على اليسر والرحمة، يريد الله يبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم.

قائمة المصادر والمراجع:

1. القاموس المحيط، الفيروز بادي، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط8/1426هـ - 2005م.
2. تفسير ابن كثير، تحقيق سامي سلامة، دار طيبة للنشر، ط2، 1420هـ - 1999م.
3. تفسير النيسابوري. تحقيق سعد بن محمد السعد، دار المآثر، ط1، 1423هـ - 2002م.
4. جامع البيان في تأويل آي القرآن. الطبري، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة.
5. تفسير الألوسي، دار إحياء التراث العربي.
6. تفسير الزمخشري، الكشاف، دار المعرفة، ط3/1430هـ - 2009م.
7. تفسير البحر المديد لابن عجيبة، تحقيق: عمر أحمد الراوي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1/1423هـ - 2002م.
8. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، 1978م.
9. القراءات القرآنية وأثرها في بيان معاني آيات التريية الخلقية في سورة الحجرات منير الزبيدي، مجلة المعيار، مجلد 23، عدد46، 2019م.
10. التفسير الكبير، الفخر الرازي، دار الفكر - بيروت، ط1/1401هـ - 1981م.
11. التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، دار التونسية للنشر.
12. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر - دمشق، ط2/1418م.
13. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، مجموعة من علماء الأزهر، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية - مصر.
14. سورة الحجرات - دراسة أسلوبية - بلقاسم بن موناخ، إشراف د رابح دوب، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية.
15. أصول المجتمع الإسلامي في سورة الحجرات، رؤوف شلبي، مجمع البحوث الإسلامية - مصر 1396هـ،
16. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1/1427هـ - 2006م.
17. التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم إعداد نخبة من علماء التفسير تحت إشراف د. مصطفى مسلم، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، ط1،

1431هـ-2010م.

18. قواعد التدبر الأمثل للقرآن الكريم، حبيكة الميداني، دار القلم - دمشق، ط1/

1400هـ - 1980م.

19. التفسير القرآني للقرآن ، دار الفكر العربي - القاهرة.